

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التجديد المنهجي في تقسيمات علوم القرآن

د/ نبيل صابري، جامعة الجزائر 01 كلية العلوم الإسلامية

Methodological Renewal in the Divisions of Qur'anic Sciences

Dr. Nabil Sabri, University of Algiers 1, Faculty of Islamic
Sciences

SABRINABIL02@GMAIL.COM

الكلمات المفتاحية: التقسيم المنهجي، التصنيف العلمي، التجديد المنهجي، تاريخ علوم القرآن، التفسير، مناهج البحث.

الملخص: يتناول هذا البحث إشكالية تقسيم علوم القرآن من زاوية منهجية، من خلال دراسة نقدية للتصنيفات التراثية والمعاصرة، والكشف عن أسسها المعرفية ومنطلقاتها التصورية، وينطلق البحث من ملاحظة تعدد التقسيمات واختلافها، وما يعتري كثيراً منها من قصور في الاستيعاب أو اضطراب في الأساس أو تداخل في الأقسام، مما حال دون بناء تصنيف جامع مانع لهذا العلم.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، حيث استعرضت أبرز محاولات تقسيم علوم القرآن عبر التاريخ، بدءاً من جهود المتقدمين وصولاً إلى اجتهادات المعاصرين، مع تقويمها في ضوء أصول القسمة المنطقية ومعايير البناء العلمي، كما أبرزت الدراسة جملة من الإشكالات المنهجية التي تعوق ضبط هذا العلم، مثل تعدد أسس التقسيم، وضعف الاستقراء، وغياب الأثر التطبيقي.

وانطلاقاً من ذلك، يقترح البحث تصنيفاً منهجياً جديداً لعلوم القرآن يقوم على ستة محاور كبرى، هي: حقيقة القرآن، وتاريخه، وأداؤه، ولغته، وبيانه، والاحتجاج له، بوصفها أطراً جامعة تستوعب مختلف موضوعاته وتحقق قدرًا من التكامل والانسجام، ويهدف هذا التصنيف إلى تقديم تصور منظم لبنية علوم القرآن، يسهم في تسهيل دراستها، وتنظيم مقرراتها، وتوجيه البحث العلمي فيها. ويخلص البحث إلى أن تجديد تقسيم علوم القرآن ضرورة منهجية، لا تعني القطيعة مع التراث، بل تقوم على استثماره وتقويمه، بما يحقق الضبط العلمي لهذا الحقل المعرفي ويعزز فاعليته في خدمة كتاب الله تعالى.

Keywords:

Qur'anicSciences;MethodologicalDivision; Scientific
Classification;MethodologicalRenewal;History of
Qur'anicSciences;Tafsir;Research Methods.

Abstract:

This research deals with the problem of the division of the Qur'anic sciences from a methodological perspective, through a critical study of classical and contemporary classifications, and uncovering their epistemological foundations and conceptual premises. The research proceeds from the observation of the multiplicity of divisions and their (variation), and what affects many of them in terms of lack of comprehensiveness, instability of the basis, or overlap between sections, which has prevented the establishment of a comprehensive and exclusive classification of this science.

The study adopts the descriptive-analytical method, as it reviews the most prominent attempts to divide the Qur'anic sciences throughout history, starting from the efforts of early scholars up to contemporary contributions, while evaluating them in light of the principles of logical division and the criteria of

scientific construction. The study also highlights a set of methodological problems that hinder the proper structuring of this science, such as the multiplicity of bases of division, weakness of inductive coverage, and the absence of practical effect.

Based on these premises, the research proposes a new methodological classification of the Qur'anic sciences built upon six major axes: the reality of the Qur'an, its history, its performance, its language, its exposition, and argumentation for it, as comprehensive frameworks to which all its subjects ultimately refer, while ensuring unity of basis, integration of sections, clarity of scientific effect, and harmony with the primary function of the Qur'anic sciences in serving the Book of Allah.

The research concludes that the renewal of the division of the Qur'anic sciences is a methodological necessity that does not imply a break with the tradition, but rather benefits from it, builds upon it, and overcomes its shortcomings, in order to achieve a precise scientific structuring of this field and to enhance its role in serving the Noble Qur'an.

مقدمة: تعدّ علوم القرآن من أجلّ ميادين المعرفة الإسلامية وأعظمها أثرًا في فهم كتاب الله تعالى وتدبر معانيه، وقد حظيت بعناية العلماء منذ القدم، حيث سعوا إلى ضبط مسائلها، وتحرير مصطلحاتها، وتصنيف مباحثها بما يخدم غاية الفهم والتفسير، وقد نتج عن ذلك تراثٌ علميٌّ واسع في تصنيف علوم القرآن وتقسيمها إلى فروع ومسائل متعدّدة.

غير أنّ هذه الجهود -على جلالها- لم تسلم من إشكالات منهجية، إذ إنّ كثيرًا من التقسيمات التقليدية اتسمت بالجزئية أو التداخل أو عدم الاستيعاب، كما تأثرت في أحيان كثيرة بالسياقات العلمية والمعرفية السائدة في عصور أصحابها، سواء من حيث الغلبة اللغوية أو الفقهية أو الكلامية، ويظهر ذلك بوضوح في تصنيفات بعض الأعلام، كابن حزم والبلقيني وغيرهما، حيث قدّموا محاولات رائدة، لكنها لم تفض إلى بناء تصنيف جامع مانع يضبط هذا العلم ضبطًا منهجيًا دقيقًا.

وانطلاقًا من ذلك، تبرز الحاجة الملحة إلى تجديد منهجي في تقسيمات علوم القرآن، يقوم على إعادة النظر في الأسس المعتمدة في التصنيفات السابقة، وتقويمها تقويمًا علميًا نقديًا، بما يراعي طبيعة هذا العلم وتداخل مباحثه وتنوّع مقاصده، فالتجديد المنشود لا يعني القطيعة مع التراث، وإنما الإفادة منه، والبناء عليه، وتجاوز ما ظهر فيه من ثغرات أو قصور.

ويهدف هذا البحث إلى تقويم المنهجيات المختلفة في تقسيم علوم القرآن، والكشف عن مركزاتها المعرفية، ثم اقتراح تصنيف جديد يتسم بالشمول والدقة والمرونة، ويستوعب مختلف جوانب هذا العلم، مع ضبط علاقات المباحث بعضها ببعض، كما يسعى البحث إلى تقديم رؤية منهجية تمكّن الباحثين من تحديد المحاور الكبرى لعلوم القرآن تحديدًا منظمًا، يسهم في تسهيل دراستها وتعميق البحث فيها.

1/ ضبط التقسيم

اشتغل المسلمون بتقسيم العلوم منذ العصور الأولى، وتنوّعت إفاداتهم في بيان كفياته ومناهجه، وقد اتخذ هذا التقسيم اتجاهين رئيسين: اتجاهًا خارجيًا يُعنى بتقسيم مجموع العلوم الشرعية وغير الشرعية وفق نظامٍ كليّ تنتظم فيه تحت وحدة جامعة، وهو الاتجاه الغالب في تصانيف الفلاسفة؛ واتجاهًا داخليًا يهتم بتقسيم كل علمٍ على حدة، باعتباره نسفًا معرفيًا مستقلًا بذاته.

والمقصود بتقسيم العلم: تجزئته تجزئةً تنازلية وفق منطق تدرّجي دقيق، وهيكلٍ بنائيٍّ محكم، بحيث ينتظم في فصولٍ وأبوابٍ ومسائلٍ وفروع، تُشكّل في مجموعها خريطةً عامةً للعلم.

ولقد عرفه طاش كبري زادة بعد أن جعله في تعداد العلوم بأنه "علم باحث عن التدرج من أعم الموضوعات إلى أخصها، ليحصل بذلك موضوع العلوم المندرجة تحت ذلك الأعم"⁽¹⁾، والمراد به في علوم القرآن تقسيم الموضوعات إلى أقسام كلية متناسبة، تشكّل بمجموعها جميع علومه.

وتتجلّى فائدته في كونه أداة تنظيمية تُسهّم في إلحاق كل فرعٍ ببابه، وكل جزءٍ بكُلّه، كما يُستعان به في تحصيل الحدود والرسوم وتقريبها، فضلًا عن بُعده التعليمي والتربوي، كما أشار إلى ذلك ابن الأكفاني⁽²⁾.

وحتى يصحّ إجراؤه لا بدّ من التقيّد بجملة من الأسس والمعروفة بأصول القسمة المنطقية، وهي:

1/ فرض أساس واحد للقسمة

2/ مساواة مصاديق الأقسام لمصاديق المقسّم

(1) مفتاح السعادة، ص 300.

(2) إرشاد القاصد، ص 98.

3/ تباين الأقسام وعدم تداخلها

4/ اتصال حلقات السلسلة

5/ أن يكون له أثر وثمره

6/ أن يكون جامعا مانعا

تنبيه: الشيء الواحد قد يكون مقسما إلى عدة تقسيمات باعتبار اختلاف الجهة المعتمدة؛ أي أساس التقسيم، وليس في ذلك أدنى شبهة ما دامت أصول القسمة سليمة، بل هو من تكامل الاجتهادات وتنوع الرؤى، وفي هذا يقول مساعد الطيار: "وتقسيم هذه العلوم ضمن مجموعات متجانسة تحت أمر كلي مما يمكن أن تتعدد فيه الاجتهادات، وليس في ذلك مشاحة، بل في الأمر سعة ظاهرة"، ويقول أيضا: "إن موضوع تصنيف العلوم وترتيبها في كتابة علوم القرآن من البحوث المهمة، وهو يحتاج إلى نظر بعد نظر، وتقويم إثر تقويم، وهو مجال واسع لإبداء الملاحظة، ولتنوع الرأي"⁽³⁾.

ولكن رغم جواز التعدد، يحسن اعتبار قسمة منهجية جامعة تكون المرجع المعياري الوحيد، دفعا للاختلاط، ومحافظة على استقرار العلم ورتابته.

2/ ضبط القسم

هو محورٌ كُليٌّ تنتظم تحته الموضوعات القرآنية المناسبة في علمٍ معيّن، ويُحترز بقيد الموضوعات عن المسائل والفروع، غير أنّ تحديد الأصل - أي الموضوع - والفرع والمحور يعتريه قدرٌ من النسبية؛ إذ قد يكون الموضوع فرعًا بالنسبة إلى المحور، وأصلًا بالنسبة إلى ما يندرج تحته من فروع، ومن ثمّ كان ضبط هذه المستويات وضبط الحدود الفاصلة بينها أمرًا عسيرًا.

⁽³⁾ علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه، ص 119.

وأما من جهة التسمية، فسواء أُطلق عليها: أقسام، أو محاور، أو دوحات، أو كُليّات، أو معاهد، أو أمور، أو أجناس؛ فلا مشاحة في الاصطلاح ما دامت هذه التسميات تفيد معنى استيعاب مجموعة من الموضوعات المتناسبة فيما بينها، والمنضوية تحت إطار جامع.

المطلب الأول: عرض المحاولات

يهدف هذا المطلب إلى استعراض أبرز التقسيمات الكلية لموضوعات علوم القرآن، كما تجلّت في النصوص المؤسّسة أو في مشجّرات المصنّفات، مع الوقوف على أنماط الترتيب المعتمدة في إطار تلك التقسيمات، وذلك وفق تسلسلها التاريخي.

1/ علي بن حزم (456هـ)

قال: "فعلم القرآن ينقسم إلى: معرفة قراءته، ومعانيه" (4).

وقال أيضا: "فأما علم القرآن فينقسم أقساما وهي: علم قراءته، وإعرابه، وغريبه، وتفسيره، وأحكامه" (5).

2/ الحاكم الجشمي (494هـ)

قال: "وعلوم القرآن كثيرة، مدارها على ثمانية: 1/ أولها القراءة ووجوهها وعللها، 2/ وثانيها اللغة، 3/ وثالثها الإعراب، 4/ ورابعها النظم، 5/ وخامسها المعنى، 6/ وسادسها النزول، 7/ وسابعها الأدلة والأحكام، 8/ وثمانها الأخبار والقصص" (6).

3/ الراغب الأصفهاني (502هـ)

(4) رسائل ابن حزم، 79/4.

(5) رسائل ابن حزم، 348/4.

(6) عدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، ص 405.

قال: "وذكرت أنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللبّ في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع" (7).

4 / مُجَدِّ الغزالي (505هـ):

قال: "وأن علوم القرآن تنقسم إلى: علم الصدف، وإلى علم الجوهر" (8).

وقال: "علم القرآن فإنه ينقسم إلى: ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف، وإلى ما يتعلق بالمعنى كال تفسير فإن اعتماده أيضاً على النقل إذ اللغة بمجرد ما لا تستقل به، وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً" (9).

5 / مُجَدِّ بن سليمان بن النقيب (698هـ)

قال: "واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام: 1/ الأول: علم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعاً، 2/ الثاني: ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له، قال: وأوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الأول، 3/ الثالث: علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها، وهذا ينقسم إلى قسمين: أ. منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع: وهو أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر

(7) الراغب الأصفهاني، المفردات، ص54.

(8) جواهر القرآن، ص15.

(9) إحياء علوم الدين 1/17.

والمعاد، ب. ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ؛ وهو قسمان: قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات، وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية، لأن مبناها على الأقيسة وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه واستخراجها لمن له أهلية" (10).

6/ سليمان الطوفي (716هـ)

قال: "أما علم القرآن فهو: إما لفظي، وإما معنوي، أي: متعلق بلفظه، أو معناه، فكل منهما على أنواع؛

1/ أما أنواع اللفظي فمنها: علم الغريب: وهو معرفة مفردات اللغة، كالقسورة، والهلوع...، ومنها: علم التصريف، وهو ما يعرض للكلمة من حيث تنقلها في الأزمنة، نحو: ضرب يضرب ضربا، أو من جهة الزيادة فيها، نحو اضطرب، أو القلب، نحو: ميقات... أو البدل، أو الإدغام، نحو: شدّ، ومدّ، ومنها علم الإعراب: وهو معرفة ما يعرض لأواخر الكلم من حركة، أو سكون، كألقاب الإعراب والبناء، وإنما رتبنا هذه العلوم الثلاثة هذا الترتيب؛ لأن مفردات اللغة إذا وردت نظر حينئذ في تعريفها، لأنه عرض عام لاحق لها حال أفرادها وتركيبها، ثم في إعرابها، لأنه عرض خاص، لاحق بأواخرها فقط حال تركيبها، ومنها معرفة القراءات المنقولة عن الأئمة السبعة، وروايتهم، وما يلحق بها: من شاذ فصيح أو متوجه.

2/ وأما أنواع المعنوي: فمنها: الوجودي: المتعلق بالموجودات كالتنبية على النظر في السموات والأرض... وهذا العلم أعني؛ علم الوجود والموجودات، هو موضوع نظر الفلاسفة وهو الذي اصطلحوا على تسميته بعلم الحكمة، ومنها الاعتقادي، وهو: علم الاعتقاد، المسمى: بأصول الدين، وموضوعه: البحث عن أحكام الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبين وعن هذه الأقسام تتفرع مسائله، ومنها التاريخي: وهو معرفة تاريخ القرون الماضية، والأمم الخالية، وقصصهم...، ومنها

(10) الإيتقان، 220/4.

الوعظي: وهو المذكور لترقيق القلوب، وإقبالها بكليتها على طاعة علام الغيوب...، ومنها: علم الناسخ والمنسوخ، ومنها: أصول الفقه؛ إذ قد دلّ أي؛ القرآن، على غالب نكته...، ومنها: علم الفقه؛ وهو لكثرتة في القرآن غني عن إيراد الأمثلة له، ومنها: علم المعاني والبيان" (11).

7/ عبد الرحمن البلقيني (824هـ)

قال: "وتنحصر الأنواع في الكلام على أمور:

1/ الأوّل: مواطن النزول وأوقاته ووقائعه؛ وذلك في اثني عشر نوعاً: المكي، المدني، السفري، الحضري، الليلي، النهاري، الصيفي، الشتائي، الفراشي، أسباب النزول، أول ما نزل، آخر ما نزل.

2/ الأمر الثاني: السند؛ وهو ستة أنواع: المتواتر، الأحاد، الشاذ، قراءات النبي ﷺ، الرواة، الحُفاظ.

3/ الأمر الثالث: الأداء؛ وهو ستة أنواع: الوقف، الابتداء، الإمالة، المد، تخفيف الهمزة، الإدغام.

4/ الأمر الرابع: الألفاظ؛ وهو سبعة أنواع: الغريب، المعرب، المجاز، المشترك، المترادف، الاستعارة، التشبيه.

5/ الأمر الخامس: المعاني المتعلقة بالأحكام؛ وهو أربعة عشر نوعاً: العامّ المبني على عمومته، العامّ المخصوص، العامّ الذي أريد به الخصوص، ما خصّ فيه الكتاب السنّة، ما خصّصت فيه السنّة الكتاب، الجمل، المبين، المؤول، المفهوم، المطلق، المقيد، الناسخ، المنسوخ، نوع من الناسخ والمنسوخ؛ وهو ما عمل به من الأحكام مدّة معيّنة والعامل به واحد من المكلفين.

6/ الأمر السادس: المعاني المتعلقة بالألفاظ؛ وهو خمسة أنواع: الفصل، الوصل، الإيجاز، الإطناب، القصر، وبذلك تكملت الأنواع خمسين.

ومن الأنواع ما لا يدخل تحت الحصر؛ الأسماء والكنى والألقاب، المبهمات" (12).

(11) الإكسير، ص48.

قال: "وعلم القرآن: 1/ منها النقلية كعلم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ، 2/ ومنها البياني الذي له علاقة بعلوم اللغة العربية، 3/ ومنها الموضوعات المتميزة التي انبثقت عن القرآن أو اقتضاها جمع موضوعاته الواحدة في كتاب واحد كإعجاز القرآن وأمثال القرآن، وأحكام القرآن، والأخلاق في القرآن، متشابه القرآن إلى غير ذلك" (13).

9/ رياض الحكيم

قال: "إن من الإشكاليات الفنية المسجلة على الكتب المتداولة في علوم القرآن انعدام التصنيف لبحوث هذا العلم، ولذلك ارتأيت تيسيرا للباحث وضع هيكلية تدرج على أساسها كل مجموعة من البحوث في صنع جامع لها، وطبقا لذلك تنقسم بحوث هذا العلم بحسب موضوع كل بحث إلى سبعة أقسام: 1/ أسماء القرآن وتجزئته، 2/ النص القرآني ومضمونه، 3/ وحي القرآن ونزوله، 4/ جمع القرآن وترتيبه وقراءته، 5/ المكي والمدني، 6/ القرآن والعلم، 7/ التفسير والمفسرون" (14).

10/ عبد الجواد خلف

قال: "وإذا نحن تتبعنا ما رصده بدر الدين الزركشي، وجلال الدين السيوطي من علوم القرآن الكريم وحده لوجدنا أنها تعدت السبعين علما، وهذا السيوطي على وجه التحديد يذكر لنا ثمانين علما من علوم القرآن الكريم.

والناظر فيها إجمالا يجدها تدرج تحت ست مجموعات يمكن إجمالها على النحو التالي:

1/ المجموعة الأولى: علوم تتعلق بنزول القرآن الكريم، وتبلغ ستة عشر علما ...

(12) مواقع العلوم، ص 256.

(13) مُجَدِّد سعيد حوى، الأساس في السنة -العبادات في الاسلام-، 1598/4.

(14) علوم القرآن دروس منهجية، ص 30.

2/ المجموعة الثانية: علوم تتعلق بذات القرآن الكريم، وتصل إلى تسعة علوم ...

3/ المجموعة الثالثة: علوم إجرائية تتعلق بالقراءة، والكتابة، والآداب، وتبلغ عشرة علوم...

4/ المجموعة الرابعة: علوم تتعلق بدرجة تحمّل القرآن عن السلف حفظاً، ورواية، وتصل إلى ثمانية علوم...

5/ المجموعة الخامسة: هي العلوم المستنبطة من القرآنوهي أنواع: أ/ علوم اللغة، والنحو، والبلاغة، ب/ علوم أخرى أشار إليها القرآن الكريم تنبيها لا تفصيلا ...

6/ المجموعة السادسة: وهي علوم تتعلق بخدمة القرآن تفسيراً، واستنباطاً، وبيانا وتأويلا ...

وللباحثين تفريع هذه العلوم واستنباط ما يشاءون منها من علوم القرآن الكريم، فهو معين لا ينضب"
(15)

11/ مصطفى البياوي

قال: "معاهد فروع وأفنان شجرة علوم القرآن كما وردت مادتها في الإتيان:

1/ علوم تنزيله: (كيفية نزوله على النبي ﷺ وحياً مقروء، ظروف النزول، أسباب النزول، ترتيب النزول، مجمل أحوال نزوله في نفسه).

2/ علوم ترتيله: (قراءته، أدائه، حفظه).

3/ علوم تدوينه: (جمعه، ترتيبه، عده، رسمه).

4/ علوم تأويله: (لغته، دلالاته، بلاغته، مؤهلات الناظر فيه).

(15)مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، ص59.

5/ علوم تدليله: (إعجازه، دلائله، وجوهه)".

12/ مساعد الطيار

قال: "ولقد نظرت بتأملٍ إلى أنواع العلوم التي في علوم القرآن ، فظهر لي أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين:

1/ القسم الأول: العلوم الناشئة منه، وهي ما كانت متعلقةً به تعلقاً مباشراً، ولا تخرج إلا منه، ومن هذه العلوم: (علم نزول القرآن وأحواله، علم القراءاتوما يرجع إلى كيفية أدائهاآداب تلاوته وأحكامها، علم جمع القرآن وتدوينه، علم الرسم والضبط، علم عدِّ الآي، علم فضائل القرآن، علم خصائص القرآن، علم مبهمات القرآن، علم سورة وآياته، علم الوقف والابتداء، علم المكّي والمدني، علم أسباب النُّزول، علم التفسير؛ ويدخل فيه جملة من العلوم المرتبطة بالتفسير كأصول التفسيروطبقات المفسرين ومناهج المفسرين وغيرها، علم أمثال القرآن، علم أقسام القرآن، علم الوجوه والنظائر).

2/ القسم الثاني: العلوم المشتركة مع غيره من العلوم، وهي على قسمين:

أ/ الأول: العلوم المرتبطة به كنصٍّ شرعيٍّ تَوَحَّدُ منه الأحكامُ التشريعية، ويشاركه فيها الحديث النبويُّ؛ لأجل هذه الحيثية، وقد نشأ عن دراستهما من هذه الجهة علم الفقه وعلم أصول الفقه، فما كان في هذين العلمين من موضوعات مشتركة مع علوم القرآن؛ فإنها ترجع إلى كونه نصًُّ تشريعيُّ، والله أعلم، ومن هذه العلوم: (علم الأحكام الفقهية، علم الناسخ والمنسوخ، علم العام والخاص، علم المطلق والمقيد، علم المجمل والمبين، علم المحكم والمتشابه)، وهذه العلوم ترتبط بعلم الفقه وأصوله، ويعلم الحديث كذلك، ولا يعني هذا أنّ هذه العلوم أصلٌ في هذا العلم وفرعٌ في ذلك، وإنما هي متعلقة بالنصِّ الشرعي سواءً أكان قرآناً أم سنة، وبجنتها في هذه العلوم يتفق في مسائلويختلف في أخرى تبعاً لمنهج كلّ علم.

ب/الثاني: العلوم المرتبطة به باعتباره نصًّا عربيًّا، وهذه العلوم تعتبر من العلوم الخادمة له: ويدخل في ذلك جملة من علوم الآلة؛ كعلم النحو، وعلم البلاغة، وعلم الصرف، ويدخل فيه: علم معاني القرآن، علم متشابه القرآن، علم إعراب القرآن، علم أساليب القرآن، علم لغات القرآن، ويشمل ما نزل بغير لغة الحجاز وما نزل بغير لغة العرب وهو ما يسمى بالمعرب، علم غريب القرآن، ويشاركه في ذلك أي نصٍّ عربيٍّ من نثرٍ أو شعر، مع مراعاة قدسيَّة القرآن وإعجازه، وأنه مع كونه نصًّا عربيًّا لا يلزم أن يرد فيه كل ما ورد عن العرب، ولا أن يُحمل على غرائب ألفاظهم وأساليبهم" (16).

13/ مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي

جاء فيه: "فهذا تصنيف مختصر لموضوعات علوم القرآن، أعده مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، على نحو خطة تصنيف ديوي ومكنز الفيصل في علوم القرآن الكريم، لاعتماده في تنظيم وفهرسة الأوعية المعلوماتية في مجال علوم القرآن، والتي يهدف المركز إلى رصدها وحصرها في قاعدة البيانات الوصفية لأوعية المعلومات القرآنية.

1/ جمع القرآن (نزول القرآن، الوحي "كيفية النزول"، أسباب النزول، زمن النزول، ترتيب النزول، مكان النزول، الصفات والأحوال المتعلقة بالنزول، أسماء القرآن وتجزئته "تقسيمه"، المصاحف).

2/ القراءات والتجويد (القراءات، التجويد).

3/ لغة القرآن (كلمات القرآن، لغات القرآن، نحو القرآن وصرفه، معاني القرآن، بلاغة القرآن).

4/ تفسير القرآن (أصول التفسير، قواعد التفسير، اختلاف المفسرين، الإجماع في التفسير، مناهج التفسير، التفاسير، غرائب التفسير، تفاسير غير سنية، التفسير الموضوعي، تاريخ التفسير وتراجم المفسرين).

(16) علوم القرآن، تاريخه وتصنيف أنواعه، ص 116.

5/ مباحث قرآنية عامة (إعجاز القرآن، خصائص القرآن، فضائل القرآن، أحكام وآداب قراءة القرآن والاستماع إليها، موضوعات السور والآيات ومقاصدها وأغراضها ومحاورها، كليات القرآن، تعليم القرآن، القرآن والعلوم الأخرى، دفع المطاعن عن القرآن، فهارس القرآن، قصص القرآن، أمثال وحكم القرآن، جدل القرآن، القسم في القرآن، أدعية القرآن، العلوم المستنبطة من القرآن)⁽¹⁷⁾.

14/ نصر الدين وهابي

قال: "التصنيف الوظيفي لعلوم القرآن: نحسب أننا قد خلصنا إلى صياغة تصور لعلوم القرآن مرتبط بالتفسير، فلمنض الآن إلى عرض تصور لنا لتصنيف علوم القرآن الكريم تصنيفاً مأخوذاً فيه بالعمل التفسيري التطبيقي؛ وهو هذا:

1/ العلوم الموطَّعة للتفسير: وهي جملة المعارف القرآنية ذات الطبيعة السياقية الخارجية بكونها واقعة خارج النص القرآني، وهي علوم حافة بالقرآن، مؤدية إليه، وهي: أ. حفظ القرآن "العلم بالقرآن نصاً"، ب. العلم بالسنة ذات الأثر في التفسير، ج. العلم بعمل الصحابة ذي الأثر المباشر في التفسير، ثم: د. زمان خطابه: علم أسباب النزول، علم المكي "ما نزل قبل الهجرة" والمدني "ما نزل بعد الهجرة"، الحضري والسفري، الليلي والنهاري، الصيفي والشتائي، معرفة أول ما نزل، معرفة آخر ما نزل، معرفة ما تكرر نزوله، هـ. متلقي خطابه: وذلك لأن قدراً من خصائص خطاب القرآن وسماته الأسلوبية يتم إدراكه بالنظر إلى متلقيه، والمتوجّه به إليه، وذلك بمعرفة: علم أسباب النزول، ما أنزل على لسان بعض الصحابة، المكي والمدني، في أسماء من نزل فيهم القرآن، في معرفة مبهمات القرآن.

2/ العلوم الكاشفة للتفسير: وهي جملة المعارف التي هي آلات تستخدم استخداماً مباشراً في التفسير؛ فهي أدوات لاستنباط المعاني من دواهلها؛ مفردات وتراكيب، ويمكن توزيعها باعتبار الطبيعة اللغوية إلى: أ. علوم المتن اللغوي: وهي؛ علم معرفة غريبه، علم مفرداته، فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز، فيما وقع فيه بغير لغة العرب، الوجوه والنظائر، المبهمات، فيما وقع فيه من الأسماء والكنى

(17) مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، تصنيف علوم القرآن.

والألقاب، ب. علوم النظام اللغوي: وهي؛ علم إعراب القرآن، علم توجيه لغة قراءاته، في معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، ج. علوم دلالات ألفاظه: معرفة عامه وخاصه، مجمله ومبينه، مطلقه ومقيده، حقيقته ومجازه، د. علوم بلاغته وبيانه وأساليبه: في حقيقته ومجازه، في تشبيهاته واستعاراته، في كناياته وتعريضه، والحصر والاختصاص، في الإيجاز والإطناب، في الخبر والإنشاء، في بديع القرآن، في فواصل الآي.

3/ العلوم الضابطة للتفسير "أصول التفسير": وهي جملة العلوم التي توجّه اشتغال المفسر، وتريه كيف يستخدم ما معه من علوم موطئة، ومن علوم كاشفة حين ينزلها على المسألة الواحدة من مسائل التفسير، ومن ثمّ؛ فهي ذات طبيعة تأصيلية على معنى التوجيه والضبط، ومما تختلف فيه عن العلوم الموطئة أن الموطئة مكانها عقل المفسر، وثقافته قبل التفسير، وأن الكاشفة مكانها التفسير نفسه، وأما الضابطة فمكانها ناتج التفسير" (18).

15/ عبد الرحمن بودرع

قال: "وقد انتهى علماء علوم القرآن إلى أن علوم القرآن لا تنحصر، ومعانيه لا تستقصى، وإنما المستطاع العناية بالقدر الممكن مما يكون مفتاحاً لأبوابه، وإذا تأملنا هذه العلوم وجدناها تنقسم إلى:

1/ علوم آلة تكشف المفردات والتراكيب والصيغ والروابط ومفاصل النص (معرفة الفواصل، معرفة الغريب، معرفة التصريف، معرفة الوقف والابتداء، معرفة الأدوات).

2/ وعلوم نصّ القرآن الكريم وعلاقات النصّ بغيره من النصوص (معرفة المناسبات بين الآيات، معرفة الوجوه والنظائر، معرفة خواتم السور، في معرفة تقسيم النصّ القرآني، في بيان معاضدة السنة للكتاب).

(18) استمداد التفسير من علوم القرآن محاولة في بناء المنهج، ضمن ندوة: علوم القرآن إشكالية المفهوم والمنهج والوظيفة، المغرب، مطبعة المعارف، المغرب، 2019م، ص513.

3/ وعلوم دلالات ومقاصد وأغراض (علم المبهمات، علم أسرار الفواتح، معرفة الأحكام، معرفة جدل القرآن، معرفة تفسيره، في أقسام معنى الكلام).

4/ وعلوم سياق تضبط المناسبات بين النص وما يلابسه من أمور الزمان والمكان والغايات والمخاطبين (معرفة سبب النزول، معرفة المكي والمدني، معرفة أول ما نزل، في بيان جدله، في معرفة وجوه المخاطبات).

5/ وعلوم استنباط تستخرج من النصوص دلالاتها البعيدة وحكمها وامتدادها، وهي العلوم التي تتعلق بالكليات الشرعية كالفقه والأصول وغيرها.

6/ وعلوم بلاغة النص القرآني (في معرفة كون اللفظ أحسن وأفصح، في معرفة إعجازه، في الكناية والتعريض، في معرفة وجوه المخاطبات، في ذكر ما تيسر من أساليبه...) (19).

المطلب الثاني: تقييم المحاولات

قبل الوقوف مع التصانيف وتقييمها لا بدّ من إثارة بعض الملاحظات والمبادئ المهمّة، وهي:

1. كثرة الاجتهادات في تقسيم الفن تدلّ على حاجة العلم إلى إعادة النظر في هيكلته، وهي رغم كثرتها لا تقارن بحجم ما كتب على غير منهاج سديد وخطة محكمة.
2. لم ينتشر أي تصنيف رغم كثرة المحاولات التصنيفية، فبقيت قناعات شخصية، ومحاولات تقريبية.
3. الغالب على التقاسيم أنها مجرد اقتراحات لم تصل درجة التفعيل والتوظيف في بناء المقررات.
4. يلاحظ أن علم القراءات والتفسير هما أكثر العلوم تداولاً في الأقسام.

(19) علوم القرآن مقدمات لعلم بناء الخطاب وتماسكه، ضمن ندوة: علوم القرآن إشكالية المفهوم والمنهج والوظيفة، المغرب، مطبعة المعارف، المغرب، 2019م، ص552.

5. تتراوح التقسيمات بين الثنائية والعشرية.

6. عناية المصنفين بالتقسيم أبرز وأظهر من الترتيب.

7. توافقت معظم الكتب ضمناً على تقديم مباحث النزول والأداء وتأخير ما تعلق بالتفسير.

8. يرجع التفاوت بين التقسيمات عموماً إلى أصليين: أساس القسمة، وعدد الموضوعات المعتبرة حال الإجراء؛ وهو راجع إلى اختلاف الحمولة المفهومية للمصطلح بين الموسعين والمضيّقين، إذ له أثر جلي وانعكاس ظاهر على الأنواع فالتقسيم، ولعل أول سبب قادح في سلامة التقسيمات الكبرى، وتعبها بالملاحظة والنقد هو عدم استيعابها للموضوعات، والحال أنه كلما كان استقراؤها أوسع واعتبارها في التحليل أجمع كانت صلوحية التقسيم أدق وأنفع.

9. ينقسم علم القرآن في شكله العام إلى إجمالي وتفصيلي، وموقع التقاسيم المقصودة بالبحث إنما هي قائمة في الشق الإجمالي.

10. من أسباب إهمال التقسيم؛ وقوع الموضوعات بين سببي الإفراط والتفريط، وذلك إما بضعف تجميع العلوم الغير محجوج إلى نظرة بنائية، أو كثرة التشقيق الموقع في العجز، ولعلّ نشر العلوم القرآنية على الآيات المرتبة مصحفياً لم يدفع النظر إلى إيجاد منطق نظامي لتلك العلوم المنشورة، لأنّ نهايتها الاستخدام المرتب، وهذه ميزة لا تتوفر في أي علم.

وبعد الذي بيّن، يأتي الآن تقييم وتحليل العروض السابق تجميعها:

1/ تقسيم علي بن حزم: ورد عن ابن حزم تقسمين مختلفين، قسم في أولهما علوم القرآن إلى ما تعلق بالقراءة وما تعلق بالمعنى، وقسمه في الثاني إلى ما تعلق بالقراءة والإعراب والغريب والتفسير والأحكام.

والملاحظ أن كلا التقسيمين عامين وإن كان الأول أعمّ، كما أنهما يؤديان المقصد نفسه؛ إذ الثاني يفسر بعض الأول، فالإعراب والغريب والتفسير والأحكام تندرج تحت قسم المعنى، وقد سبق بالقراءة لأن المعنى لاحق لها ومتأخر عنها، وإن كان يرى أن أحكام القرآن من الفقه كما هو لاحق سياق العبارة الأولى.

وإن الذي يقال عن طريقته أنها سطحية، ولا تستجيب لكل حيثيات العلم، ولا يظهر عليها إفادة التقسيم بأكثر من التقريب.

2/ تقسيم الحاكم الجشمي: تميز تقسيم الحاكم بالتفصيل والنظر الشمولي، وهو أمتن وأعمق من تقسيم ابن حزم؛ لأنه قال: "وعلم القرآن كثيرة، مدارها على ثمانية"؛ ثم ابتداء بعلم القراءة وما تعلق به، وثنى باللغة والظاهر أنه يقصد به غريب المفردات، لأنه لو دل مفهوم اللغة على مشتملاته المعروفة لما تلت بالإعراب والنظم، وهكذا تدرج المصنف في تحكيم التسلسل الوظيفي، ليختمس المدارات بالمعنى، فالنزول وإن كان البداية به أولى لأنه سابق على القراءة، ثم الأدلة والأحكام المستفادة، وختم بالأخبار والقصص.

ولكن بالرغم من خلاصة تنظيمه إلا أنه يميل إلى الاختصار على أهم الموضوعات، لا تقسيمها في دوحات كلية، وهذا ظاهر من طبيعة الأنواع التي انتقاها، إذ هي ألصق بالنوع الإجمالي من القسم الكلي، وكأنه قال: علوم القرآن كثيرة، ولكن أهمها التي تدور عليها علومه هي الأنواع الآتية، ثم اختار أسيدها وأفيدها.

ومما ينبغي التفتن له أن تقسيم ابن حزم والحاكم وقعا في القرن الخامس، وهي مرحلة كان مصطلح علم القرآن فيها رائجا بالمفهوم العام، سواء مفصلا، أو مجملا؛ وعليه فإن دلالة علم المعنى تؤدي معنى التفسير التفصيلي، كما أن بقية الأنواع تؤدي دلالة التفصيل أيضا.

3/ تقسيم الراغب الأصفهاني: جاء في مطلع كتاب المفردات نصا تقسيميا مفيدا، إلا أن الراغب لم يسترسل في كلامه وتوقف عند الحد الذي أراد أن يبلغه من كلامه، ولذا جاءت قسمته مبتورة، حيث ذكر قسما واحدا فقط، وهو العلم اللفظي، وذكر نوعا منه وهو الغريب.

واستنتاج العلم المعنوي كونه مقابلا للعلم اللفظي ظاهر، ولكن ليس بالإمكان التنبؤ أكثر، لأن القسمة قد تكون ثنائية أو أكثر، وقد أشار إلى العلم المعنوي حين قال أن تحصيل العلم اللفظي من أوائل المعاون لمن رغب أن يدرك معاني القرآن، وفي حديثه فائدة أخرى تظهر أهمية مراعاة الترتيب بين العلوم.

4/ تقسيم محمد الغزالي: ثبت عنه تقسيمين مختلفين؛

1/ أما الأول فقد شقق فيه علم القرآن إلى علم الصدف وعلم الجوهر، ثم خصّ علم الصدف باللغة العربية، وشّعب منه خمسة علوم⁽²⁰⁾؛ فجعل من ألفاظه علم اللغة، ومن إعراب ألفاظه علم النحو، ومن وجوه إعرابه علم القراءات، ومن كيفية التصويت بحروفه علم مخارج الحروف، ومن هذه العلوم ينتج التفسير الظاهر وهو العلم الخامس، ثم فصل منزلة كل علم وبيّن قربه وبعده عن الدرّ بحسب الحال.

وجعل علوم الجوهر واللباب متفرعة إلى طبقتين:

أ/ الطبقة السفلى وهي ثلاثة أقسام؛ معرفة قصص القرآن وما يتعلق بالأنبياء والجاحدين والأعداء ويتكفل بهذا العلم القصاص والوعاظ وبعض المحدثين، ومحاجة الكفار ومجادلتهم، ومنه يتشعب علم الكلام المقصود لرد الضلالات والبدع، وإزالة الشبهات، ويتكفل به المتكلمون، وعلم الحدود الموضوع للاختصاص بالأموال والنساء، للاستعانة على البقاء في النفس والنسل، وهذا العلم يتولاه الفقهاء،

⁽²⁰⁾ وهي ليست على مرتبة واحدة، بل للصدف وجه إلى الباطن ملاق للدر، قريب الشبه به لقرب الجوار ودوام المماسّة، ووجه إلى الظاهر الخارج قريب الشبهه بسائر الأحجار، لبعده الجوار وعدم المماسّة.

ويشرح الاختصاصات المالية ربع المعاملات من الفقه؛ ويشرح الاختصاصات بمحل الحراثة؛ أي النساء ربع النكاح؛ ويشرح الزجر عن مفسدات هذه الاختصاصات ربع الجنائيات ... فهذا وجه انشعاب الفقه من القرآن، ويتولد من بين الفقه والقرآن والحديث علم يسمى أصول الفقه، ويرجع إلى ضبط قوانين الاستدلال بالآيات والأخبار على أحكام الشريعة.

ب/ الطبقة العليا وهي السوابق والأصول من العلوم المهمة، وهي ثلاثة أقسام كذلك؛ العلم بالله واليوم الآخر وهو أشرفها لأنه علم المقصد؛ وتشتمل معرفة الله على معرفة الذات والصفات والأفعال، والعلم بالصراف المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه، وتعريف الحال عند الوصول إليه ... فهذه هي مجامع العلم التي تتشعب من القرآن ومراتبها.

2/ أما التقسيم الثاني فقد جعل علم القرآن منقسما إلى ما تعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف، وما تعلق بالمعنى كالتفسير، وما تعلق بالأحكام كالناسخ والمنسوخ وسائر مشتملات علم أصول الفقه وكذا السنة أيضا.

إن الذي يلحظ على تقسيمه الأول أنه جنح فيه لتقسيم العلوم حسب الجوهر والصدف وإنزالها منازلها حسب القرب والبعد من اللب، وذلك راجع للنظرة التي انطلق منها في تحرير كتابه، وهي اتصاف القرآن بالبحر المحيط وانطوائه على أصناف الجواهر والدرر، وإرشاد القارئ إلى كيفية السباحة كما غاص في أعماقها الخائضون⁽²¹⁾، ولذا جاء التعبير بمصطلحات البحر، كما روعي أساس العمق حال التقسيم، ما نتج عنه أن التفسير الظاهر والقراءات والتجويد والغريب ضمو للغة الصدفية القشرية، في حين أن الحديث والكلام والقصص والأصول والفقه ضمو للعلوم الجوهرية اللبائية.

(21) قال: "أوما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط؟ ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها؟ أوما تغبط أقواما خاضوا في غمرة أمواجها فظفروا بالكبريت الأحمر؟ وغاصوا في أعماقها فاستخرجوا الياقوت الأحمر، والدر الأزهر، والزبرجد الأخضر؟ وساحوا في سواحلها، فالتقطوا العنبر الأشهب، والعود الرطب الأنضر؟ وتعلقوا إلى جزائرها واستدروا من حيواناتها الترياق الأكبر، والمسك الأذفر؟ وما أنا أرشدك قاضيا حق إخائك، ومرتبيا بركة دعائك إلى كيفية سياحتهم وغوصهم وسباحتهم" ص21.

وهذه النمطية التصنيفية لا تساعد على احتواء المباحث القرآنية المعروفة؛ لأن الغزالي لم يكن من همّه اقتراح نظام يتيح تأليف الأنواع المتداولة، بل حاول أن يجمع كل العلوم الشرعية الدائرة في فلك القرآن وينسق بينها في ظل تصنيف غائي، كما أن النظرة التفاضلية التصاعدية تفضي إلى الازدراء والسلب بالعلوم الموجودة في الأسفل.

وأما قسمته الثانية فهي قسمة مرتبطة بالأنواع القرآنية، إلا أن عيبتها في قصر تتبعها، وعفويتها المطلقة، ولها شبه بتقسيم الراغب، ولكنها أحسن تفصيلاً، وذلك بزيادة علم الأحكام على العلوم اللفظية والمعنوية.

5/ تقسيم محمد بن سليمان بن النقيب: جاء تقسيم ابن النقيب ثلاثياً مرتكزاً على الجهة المعنوية، ولذا اتسم بكيفية الاطلاع من عدمه، والذي يهّم منها القسمة الثالثة، وهي العلوم التي علمها الله نبيّه ﷺ.

وقد مال في تشجيرها إلى ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع، وإلى ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ؛ وهو قسمان: قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات في الصفات، وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والإشارات.

لا ريب أن تقسيم العلوم بالنظر إلى طبيعتها العقلية أو العقلية تثير تساؤلات عدة، لعل من أبرزها، ألا يؤخذ بالنقل في العقلية؟ وهل يمكن الاستغناء عن العقل في النقلات؟ وهل يتصور تركيب ما بينهما؟

إن الرؤية التقابلية بين العلوم يمكن قبولها مصدرا تصنيفيا حال تصنيف العلوم البشرية أجمع، كما قسمها ابن خلدون إلى نقلية كالشرعيات وعقلية كالحكميات⁽²²⁾، ولكن اعتبارها معيارا محددًا بين العلوم القرآنية ضعف ظاهر، وذلك للاقتزان بين الأداتين في غالب الأنواع.

6/ تقسيم سليمان الطوفي: اتجه الطوفي في تصنيفه إلى اختيار مبدأ حقيقة المادة العملية من حيث اللفظ والمعنى، وقد سبقه إليها الغزالي ومن قبله الراغب، غير أن منطق الطوفي تحلّى بالتتبع والتأصيل، والرتابة والتفصيل، ما جعل بناءه أكثر تميزا ونضجا، وبفحص وتأمل تفرعاته يلحظ أن قسمته ليست حاصرة لأنواع علوم القرآن المعهودة، إذ هي معنوية بتجميع العلوم الشرعية التي ينبغي للمفسر النظر فيها، ويفسره قوله: "ونحن إنما ذكرنا العلوم التي ينبغي للمفسر الاعتناء ببيائها"⁽²³⁾، ولذا غابت مثل مباحث النزول والإعجاز والتفسير.

من جهة أخرى، يعترض على القسمة اللفظية والمعنوية بمثل ما اعترض على القسمة النقلية والعقلية، فيقال: وهل يمكن تجريد اللفظ من المعنى؟ أو في الإمكان قيام معنى بغير لفظ؟ ولذا عقب الطوفي بتنبيه في آخر كلامه لرفع هذا الإشكال ودفعه، حيث قال: "أننا ذكرنا أن علم القرآن وكذا غيره، إما متعلق باللفظ أو المعنى، والمراد: أن بعضه يتعلق بالمعنى بواسطة اللفظ، وبعضه يتعلق به من غير واسطة، لا أن بعضه يتعلق باللفظ لذاته؛ لما ثبت من أن الألفاظ آلة يتوصل بها إلى المعاني التي هي الأغراض، وأنها خدم لها، فالمقصود لذاته إنما هو المعنى، فبهذا الاعتبار جميع العلوم معنوية، وإنما يتجه انقسامها إلى لفظي ومعنوي بالاعتبار الذي ذكرناه من الوسطة وعدمها، ويدل على أن الألفاظ غير مقصودة لذاتها وجوه"، ثم ذكر ثلاثة منها⁽²⁴⁾.

(22) تاريخ ابن خلدون، 549/1.

(23) الإكسير، ص 54.

(24) الإكسير، 56.

7/ تقسيم عبد الرحمن البلقيني: اجتهد الجلال في إيجاد تصنيف شجري متكامل لأنواع علوم القرآن، فابتدع قسمين كبيرين، قسم يدخل تحت الحصر، وقسم لا يدخل تحت الحصر، ثم رتب ما يدخل تحت الحصر وفق محاور ستة، متدرجا في وضعها من نزولها حتى معناها، وهي النزول، السند، الأداء، الألفاظ، المعاني المتعلقة بالأحكام، المعاني المتعلقة بالألفاظ، وإن المقارنة بين تقسيم البلقيني وتقسيمات متقدميه لتدلّ على حسن منطقته، وذكاء تصوّره، ولا يبعد أن يوسم اجتهاده بأفضل ما دوّن حتى وقته، خاصة وقد قرن بين التنظير والتطبيق.

سبق توجيه قوله بما لا يدخل تحت الحصر أن المراد به جمعا بين نصوصه؛ بما لا يدخل تحت الأقسام الستة المذكورة، وعليه فهو قسم مفتوح للأنواع التي لا يستقيم ترتيبها كالمبهم والأسماء والكنى والألقاب، وهذه عادة تصنيفية أكثر ما توجد في كتب الفقه، قال ابن الهمام: " من عادة المصنّفين أن يذكروا عقيب الأبواب ما شدّ منها من المسائل فتصير مسائل من أبواب متفرقة، فتترجم تارة بمسائل منشورة وتارة بمسائل شتى " (25)، ومنها صنيع ابن النديم لما ختم كتب علوم القرآن بقسم "الكتب المؤلفة في معاني شتى من القرآن" (26)، غير أنها تضع العلم في مفترق طرق، وتدخله في بوابة الإبهام والغموض، بدل أن تسيج حدوده، وقد كان بالإمكان تلافيه وذلك باستحداث أنماط تستجيب للترابط بين مكوناتها، ولذا فإن تعريف السيوطي لعلوم القرآن وفق المنطق التصنيفي للبلقيني متعقب بالنظر.

هذا وإن الصياغة السداسية تفتقر للشمول، فكثير من الأنواع القرآنية لم تحظ بالاهتمام، ولو روعيت أثناء التقسيم لبدت المحاور على غير الصورة المطروحة، ولعل رؤية البلقيني كانت متوجهة للتركيز على أجلّها، ما دفع الكاتبين من بعده للزيادة والاستدراك، وإهمال تقسيمه الغير مؤهل لاستيعاب الإضافات، ومع ذلك فهي مستملحة، ودقيقة، وبديعة؛ لأنها بنيت وفق صلب مضمونها، ومجامع مادتها، فكان منها النزول، والسند، والأداء، واللفظ، والمعنى بشقيه، وهي تحتزل في صنوفها علم

(25) فتح القدير، 3/168.

(26) ص58.

الحديث ويمثله السند، والأصول ويمثله المعاني المتعلقة بالأحكام، ومعاني البلاغة ويمثلها المعاني المتعلقة بالألفاظ، واللغة ويمثلها اللفظ.

8/ تقسيم سعيد حوى: جعل الأستاذ من علوم القرآن ثلاثة دوحات؛ وهي: النقلية، والبيانية، والموضوعية التي انبثقت عن القرآن أو اقتضاها جمع موضوعاته الواحدة في كتاب واحد.

وهو تقسيم كما يبدو ضعيف التتبع، والذي يظهر أن الأستاذ لم يكن ينوِّ التصنيف، وإنما تفهيم القاصد وتقريب المنال.

9/ تقسيم رياض الحكيم: استشكل الأستاذ انعدام تصنيف تدرج على أساسه كل موضوعات العلم، فاقترح تصنيفا سباعيا، يتمثل في: أسماء القرآن وتجزئته، النص القرآني ومضمونه، وحي القرآن ونزوله، جمع القرآن وترتيبه وقراءته، المكي والمدني، القرآن والعلم، التفسير والمفسرون.

وهو تصنيف كما يظهر ضعيف البنية، ولا قدرة له على احتواء موضوعات الفن، ومحاوره عبارة عن دمج بين مبحثين أو ثلاثة.

10/ تقسيم عبد الجواد خلف: اجتهد المؤلف في إيجاد أصول لعلوم القرآن، فرأى أنها لا تخرج عن ستة محاور كبرى، تتصل ببعضها ابتداء من نزول القرآن حتى تفسيره.

إن اقتراح الأستاذ كما يظهر غير مسبوق إليه، فهو من مبتكراته، إلا أن فيه ضعفا استيعابيا، نظرا لانطلاقه في البناء من تنويع السيوطي الثماني في إتقانه، وعليه فقد غابت بعض الأنواع والتي لا يمكن أن تنضوي تحت أي أصل؛ كالأعجاز والانتصار للقرآن، كما أن مجموعة العلوم المستنبطة من القرآن غير مناسبة لمضامينها من جهة، حيث ضمَّ إليها علوم النحو واللغة والبلاغة ودلالات الألفاظ وموضوعات القرآن والنسخ والمبهم والأسامي وغيرها، وهي من جهة أخرى تتلاقى مع المجموعات الأخرى ولعل أمثلها مجموعة العلوم المتعلقة بخدمة القرآن تفسيراً واستنباطاً وبيانا وتأويلاً.

11/ تقسيم مصطلحي الحيواوي: حصر الحيواوي شجرة علوم القرآن كما وردت في الإتيان في خمسة علوم كلية؛ وهي: علوم التنزيل، والترتيل، والتدوين، والتأويل، والتدليل، ثم فصل كل علم تفصيلا محكما ومبدعا.

امتاز تشجييره لعلوم القرآن بحسن الضبط، إلا أن فيه فراغات، لأنه اعتمد على الإتيان، وكثير من المباحث فاتت السيوطي في مدوّنته، وبالتالي غابت في بناء الأبواب، وهي لا تنتمي رغم ذلك لأي منها؛ كمقاصد القرآن، وترجمته، والدفاع عنه، يضاف لذلك مرونة مصطلح التدليل، وعدم جلالته (27).

12/ تقسيم مساعد الطيار: اجتهد المؤلف في تقسيم مباحث العلم، فخلص إلى توزيعها وفق محورين: العلوم الناشئة منه، والعلوم المشتركة مع غيره؛ وهي تنقسم إلى؛ العلوم المرتبطة به كنص تشريعي، والعلوم المرتبطة به كنص عربي.

إن تصنيف العلم باعتباره علما مختلطا بين الأصيل والمشارك توهين لأساسياته، لأن درس التداخل يكون أثناء تحديده وقراءة تاريخه، أما بعد الرضى والقناعة بمباحثه فلا وجه لتسمية بعض علومه بالعلوم الغربية أو المشتركة، علاوة على توقف معرفة المشارك وفكّه من الأصيل إلى مقدمات، والتصنيف إنما جيء به لتحسين الإدراك، هذا وإن تقسيمه يصلح لأي علم؛ إذ جميع علوم الدنيا تتألف في تركيبها من علومها الذاتية الخاصة ومن علوم أخرى توفيقية عامة، حتى الشرعية منها، كالفقه، والأصول، والحديث.

وعليه فإن محاولته أقرب ما تكون من إعطاء تصور لبدايات العلم وكيفية تكوّنه، وتقريب لفهرسة أنواعه من هذا الملمح، يضاف لذلك صلوحية بعض مباحث العلوم الناشئة منه للاندراس في شق النص العربي.

(27) ومما يلحظ أنه لم ينص على كل موارد الإتيان، إذ أهمل طائفة منها، كأسمائه وأسماء سورته، الوجوه والنظائر، وجوه المخاطبات، فواصل الآي، الأسماء والكنى والألقاب، المبهمات، فضائل القرآن، مفردات القرآن، خواص القرآن.

13/ تقسيم مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي: ارتأى المركز تقريب أنواع علوم القرآن في محاور كبرى، فأرجعها إلى: جمع القرآن، القراءات والتجويد، لغة القرآن، تفسير القرآن، مباحث قرآنية عامة.

وهو تقسيم لا يختلف كثيرا عن المتداول من التقاسيم، وعييه أنه وقع في العموم الغير منضبط بالمحور الأخير.

14/ تقسيم نصر الدين وهابي: عرض الأستاذ في مشاركته تصورا لعلوم القرآن مأخوذا فيه بالعمل التفسيري التطبيقي، فخلص إلى: علوم موطئة للتفسير، علوم كاشفة للتفسير، علوم ضابطة للتفسير.

من المعلوم أن هدف مباحث علوم القرآن هو خدمة القرآن وليس تفسير القرآن، وعليه فإن التصنيف الوظيفي لعلوم القرآن ينتج عنه إهمال لكثير من المباحث التي لا علاقة لها بالتفسير، كالخصائص والفضائل والآداب والطبقات وغيرها، كما أن بين أقسامه تداخلا، فالعلوم الضابطة التي وصفها بأصول التفسير قد جعل طرفا من مباحثها كدلالة الألفاظ في قسم العلوم الكاشفة.

15/ تقسيم عبد الرحمن بودرع: قسم الأستاذ أنواع علوم القرآن إلى ستة أنواع، وهي: علوم آلة تكشف المفردات والتراكيب والصيغ والروابط ومفاصل النص، وعلوم نص القرآن الكريم وعلاقات النص بغيره من النصوص، وعلوم دلالات ومقاصد وأغراض، وعلوم سياق تضبط المناسبات بين النص وما يلابسه من أمور الزمان والمكان والغايات والمخاطبين، وعلوم استنباط تستخرج من النصوص دلالاتها البعيدة وحكمها وامتدادها، وعلوم بلاغة النص القرآني.

اتصف تقسيمه بالغموض والإلباس، وتعدد الأساس، وإنما فائدة التقسيم تتمثل في سرعة الوصول إلى الفهم، يضاف إليه فوات كثير من العلوم في تفاصيله، وأولها علم القراءات، ولعل ذلك راجع لاعتماده على بعض تنويع الزركشي في برهانه فقط.

المطلب الثالث: اقتراح تصنيف متكامل

خروجًا من الاضطراب الذي شهده واقع تصنيف علوم القرآن، يحسن اعتماد مرجعية واحدة تكون بمثابة المسار الدقيق والميزان القويم لجميع العلوم القرآنية المعروفة، بحيث تخضع لقوانين البناء العلمي من حيث التقسيم المؤصّل والترتيب المنسق؛ إذ إن الصناعة التي يغيب عنها التنظيم صناعة ناقصة غامضة، لا ترقى إلى درجة النبوغ والنضج إلا بوساطته.

وقد جاء هذا المطلب محاولةً لوضع تصنيفٍ بديلٍ يستوعب مختلف توجّهات موضوعات علوم القرآن، ويلائم امتداداتها، بعد أن مضى بيانُ ضعف المقترحات السابقة وقصورها عن تحقيق الكمال المنهجي⁽²⁸⁾.

وإن اقتراح أي تقسيم كامل لعلوم القرآن لا بدّ أن يراعى في صياغته وتكوينه توقّر العناصر الآتية:

1/ العدد الكامل حال الإجراء: لأنّ النقص في عدد الأقسام ينعكس خللاً على البناء العام للتقسيم، وقد وُهن أكثرُ التصنيفات المقترحة لعدم قيامها على الركن الجامع المانع، وهو خللٌ مردّه إمّا ضعف الاستقصاء، أو الاعتماد على مفهومٍ جزئيٍّ من المفهوم التاريخي لمصطلح علوم القرآن.

2/ ظهور الأثر والثمرّة: إذ تتمثل فائدة التقسيم في إعطاء تصوّرٍ دقيقٍ لكيفية انبناء موضوعات العلم وتدرّجها من أعلى أجناسها إلى أدناها، أما إذا خلا التقسيم من العوائد العلمية، ولم يكن له أثرٌ بيّن في حوصلة مباحث العلم ضمن هندسةٍ معرفيةٍ واضحة، فلا وجه لقبوله؛ كتقسيمها إلى علومٍ صحيّةٍ وجمال، أو وجوبٍ واستحسان، أو علومٍ داخل النصّ وحوله، أو علومٍ ما قبل التدوين وأثناءه وبعده.

3/ مراعاة وظيفة العلم: وبما أن علوم القرآن من العلوم الدائرة في فلك القرآن، والغرض منها خدمته، فلا بدّ أن يكون التقسيم منسجماً مع هذا المقصد، ومن هنا يتبيّن خطأ تصنيف مباحث علوم القرآن

(28) علماً أن البديل قائم على الاستفادة من كل الأفكار المستعملة في تلك المقترحات، واستغلال أحسن ما جاء فيها.

وفق الوظيفة التفسيرية؛ إذ وظيفة العلم هي خدمة القرآن، لا الاقتصار على بيان معانيه، كما هو الشأن في تصنيف موضوعات أصول الفقه وفق غرضها التمهيدي للفقه.

4/ اعتماد الأساس الدقيق: بحيث يكون واحدًا، متسلسلاً، غير متداخل، قائمًا على التكامل لا على التفاضل أو الفصل، وقد أظهر تقويم المقترحات السابقة أن كثيرًا منها شابه الاعوجاج بسبب الانفلات في الالتزام بهذا الأصل، كتصنيف العلم إلى: نقلي وعقلي، أو لفظي ومعنوي، أو صدي وجوهري، أو سفلي وعلوي، أو تاريخي وأداتي، أو ناشئ ومشترك.

وبناءً على هذه العناصر، يظهر -والله أعلم- أن التقسيم الأوفى أثرًا، والأدق أساسًا، والأكمل استيعابًا لجهات علوم القرآن الإجمالية، هو تقسيمها وفق المحاور الآتية: **الحقيقة، والتاريخ، والأداء، واللغة، والبيان، والاحتجاج؛** إذ تؤول إليها جميع علومه، ويتفرع عنها ما سواها، على النحو الآتي:

1/ حقيقة القرآن: أي ماهيته، وهما مترادفان، ويدرج فيها؛ تعريفه، وتسمياته، وفضائله.

2/ تاريخ القرآن: ويشمل كل ما تعلق بتكوينه، ابتداءً من نزوله، ثم جمعه، وترتيبه، وكتابته، مع التطرق إلى عدّه وفواصله.

3/ أداء القرآن: وقد اختير هذا المصطلح لكونه أعمّ من القراءة في بعض الحثيات، لا سيما ما يتعلّق بالطبقات والآداب، ويشمل: القراءات، والتجويد، ومشتبهات القرآن، ويلحق به: أهل القرآن، والأدب معه.

4/ لغة القرآن: ويُعنى بما يتصل بلغة القرآن من حيث الإعراب، والبلاغة، والمعرب، والغريب، والترجمة، ودلالة الألفاظ.

5/ بيان القرآن: وهو كل ما يُعنى ببيان القرآن من مختلف جهاته، وقد يُسمّى بالتفسير أو بالنص، غير أن تسمية البيان أدق؛ لأن التفسير يضيق، والنص يتسع اتساعًا يجاوز المقصود، ويشمل هذا

المحور: النسخ، والمناسبات، والتفسير من جهة أصوله وقواعده ومناهجه وموضوعاته، إضافةً إلى الاستنباط والمقاصد.

6/ الاحتجاج للقرآن: وهو إثبات صحة القرآن، والكشف عن حججه، ودفع الشبه عنه بالبرهان، وقد اقتبس المصطلح من علم الاحتجاج للقراءات، ويتعلّق أساسًا بالإعجاز والانتصار للقرآن.

ولكن قد يُعترض بإشكال؛ مفاده أن النزول يدخل في محور البيان، ويجاب عنه بأن النزول له تعلّق أيضا بتاريخ القرآن، ونسقية الترتيب تقتضي تقديمه على الأداء وحتى الجمع والكتابة، وعليه فله اعتباران مختلفان، وأقوى ما يرجّح فيه أن يكون في فاتحة العلم، وكذا الحال بالنسبة مثلا للمناسبات، فيمكن إدراج العلم أيضا في التاريخ، ولكن يرتفع الإشكال بالقول أن تعلق المناسبات بالبيان أشد ارتباطا من تعلقه بالتاريخ، وهكذا يقاس، ومنه القول أن البلاغة كلها يستطيع إدراجها في الإعجاز اللغوي للقرآن، فالمهم أن يقدر موقع كل علم بحسب الأرجح والأقوى إن تزام دخوله بين جهتين.

خاتمة:

خلص هذا البحث إلى أن إشكالية تقسيم علوم القرآن ليست إشكالية شكلية أو اصطلاحية فحسب، بل هي مسألة منهجية عميقة تتصل بطبيعة هذا العلم، واتساع مجالاته، وتعدد وظائفه، وتداخل مباحثه.

وقد أظهر الاستقراء التاريخي لمحاولات التصنيف أن الجهود التراثية والمعاصرة -على جلالها وأهميتها- لم تنته إلى بناء تصنيفٍ معياريٍّ جامعٍ مانع، بقدر ما قدّمت مقاربات جزئية، أو تصنيفات وظيفية أو وصفية، تأثرت في كثير من الأحيان بالسياقات المعرفية، أو بغلبة زاوية معينة في النظر.

كما تبين أن الخلل الغالب في تلك المحاولات يرجع إلى اضطراب أساس القسمة، أو عدم استيعاب جميع الموضوعات، أو التساهل في شرط التباين بين الأقسام، أو غياب الأثر العملي للتقسيم في ضبط العلم وتعليمه وبنائه، ومن هنا جاءت الحاجة إلى تجديد منهجي لا يقوم على القطيعة مع التراث، وإنما على نقده وتقويمه، واستثمار مكامن قوته، وتجاوز ما ظهر فيه من قصور.

وانطلاقاً من هذه المعطيات، اقترح البحث تقسيمًا كليًا لعلوم القرآن قائمًا على ستة محاور جامعة، وهي: الحقيقة، والتاريخ، والأداء، واللغة، والبيان، والاحتجاج، بوصفها محاور كبرى تؤول إليها جميع علوم القرآن الإجمالية، مع مراعاة وحدة الأساس، وتكامل الأقسام، ووضوح الأثر العلمي، وانسجام التصنيف مع الوظيفة الأصلية لعلوم القرآن في خدمة كتاب الله تعالى من مختلف جهاته.

ولا يدعي هذا التصنيف الكمال أو الإحاطة النهائية، إذ إن طبيعة علوم القرآن تأبى الانحصار التام، غير أنه يطمح إلى أن يكون إطارًا منهجيًا منضبطًا، يصلح مرجعًا معياريًا في بناء المقررات، وتنظيم البحث، وتوجيه الدراسات المستقبلية، ويفتح في الوقت نفسه أفقًا رحبًا لمزيد من التقويم والتطوير، تحقيقًا لمقصد الضبط، وحفظًا لنسقية هذا العلم الجليل واستقراره المنهجي.

قائمة المصادر والمراجع:

أحمد طاشكيري زاده، مفتاح السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.

الراغب الأصفهاني، المفردات، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.

رياض الحكيم، علوم القرآن دروس منهجية، دار الهلال، إيران، ط5، 1435هـ.

سليمان الطوفي، الإكسير، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002م.

عبد الجواد خلف، مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن، دار البيان، القاهرة، د.ت.

- عبد الرحمن البلقيني، مواقع العلوم، تحقيق: نبيل صابري، غراس، الكويت، ط1، 2017م.
- عبد الرحمن السيوطي، الإيقان، تحقيق: مُجَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية، مصر، 1974م.
- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.
- عدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، تحقيق: عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
- علوم القرآن إشكالية المفهوم والمنهج والوظيفة، مجموعة من الباحثين، مطبعة المعارف، المغرب، 2019م.
- مُجَّد الأنصاري، إرشاد القاصد، تحقيق: عبد المنعم عمر، دار الفكر العربي، مصر، د.ت.
- مُجَّد الطوسي، الفهرست، تحقيق: مُجَّد بحر العلوم، منشورات الشريف الرضي، قم، د.ت.
- مُجَّد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- مُجَّد الغزالي، جواهر القرآن، تحقيق: مُجَّد القباني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1986م.
- مُجَّد بن الهمام، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- مُجَّد بن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية، بيروت، ط1، 1980م.
- مُجَّد سعيد حوى، الأساس في السنة -العبادات في الإسلام-، دار السلام، مصر، ط1، 1994م.
- مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، تصنيف علوم القرآن، معهد الإمام الشاطبي، السعودية، ط1، 1430هـ.
- مساعد الطيار، علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، السعودية، العدد 1، 1427هـ.